

بريد دمشقي رياض الصالح الحسين

خليفة صويلح

في مبنى «صحيفة تشرين»، ظهيرة يوم قانظ أواخر السبعينيات، تعرّفت إلى رياض الصالح الحسين (1954-1982). وفي حانة «اللاتيرنا» التي كانت تجمع مثقفي دمشق، أخبرني عن قرب صدور مجموعته الأولى «خرب الدورة الدموية» (1979). كان يكتب ما يريد قوله على ورقة صغيرة، وكان عليّ أن أحييه بالكتابة، ذلك أنه فقد النطق والسمع تقريباً مطلع فتوته المبكرة.

الغرفة التي كان يقطنها في الطبقة الثانية من بيت دمشقي قديم في حي الديوانية سكنها قبله المخرج المسرحي الراحل فؤاد الساجر. سيرير ومكتبة وكرسبان. على الجدار لوحة لمنذر مصري بالأبيض والأسود، وحفنة من الياسمين في كأس على الطاولة. هو اعتاد أن يقطف الياسمين في طريقه إلى البيت. في هذه الغرفة، التقيت يوسف عبدلكي وجميل حتمل وهالة العبد الله للمرة الأولى. أحاول أن استعيد هذا الشريط، لمناسبة مرور 31 عاماً على غياب صاحب «أساطير يومية» الذي عبر كشهات في قضاء الشعرية السورية الجديدة، وترك حبره طازجاً إلى اليوم على تجارب الثمانينيين وما بعدهم، مثلما فعل شاعر استثنائي آخر هو محمد الماغوط. 4 مجموعات هي حصيلة هذا الشاعر، آخرها «وعلى في الغابة» (1983) التي صدرت بعد رحيله. سنقرأ قصائده «عن الموتى» ونكتشف مرة أخرى أنه كان يرثي نفسه أولاً. محاولة طبع أعماله الكاملة ضمن منشورات وزارة الثقافة في دمشق، عرقلها بعض مستشاري الوزارة الأعمى. أغلب الظن أن هؤلاء لم يقرأوا ميراثه جيداً، لكن آخرين جمعوا دواوينه ونشروها في موقع إلكتروني يحمل اسمه، فيما أفردت الشاعرة سوزان عليوان أيقونة خاصة بأعماله على موقعها، وسنجد بعض نصوصه

نصوصه
المبثوثة على
الفايسبوك
تبرعن
اللحظة
السورية
الراهنه قبل
ان تقم بثلاثة
عقود

مبثوثة على الفاييسبوك، بوصفها مكتوبة عن اللحظة السورية الراهنة قبل أن تقع بثلاثة عقود. هكذا نقرأ «ثمرة ثمرة، تقطفين أيامي، يا بلادي الجميلة، فاستمع: لا أحد يغني سوى الساطور». أما قصيدته «يا سورية»، فتحضر كما لو أنها بيان. مهارة البساطة وحدها، هي من أنعش أوكسجين نصوص هذا الشاعر الذي أضفى بريقاً خاصاً على ما سمي قصيدة التفاصيل اليومية، لكن خلافاً لمقلديه، كان يكتب أوجاعه الشخصية ومكابداته كعاشق، قبل أن ينطفي بنوبة فشل كلوي أواخر 1982، إثر قصة حب عاصفة، كادت تؤدي به إلى الانتحار أكثر من مرة.

عبد العظيم فنجان في مدار الحب عناية فائقة في الصور والاستعارات

حسين بن حمزة

هاتفك مغلق» بـ «أرضية» هذه المرأة وواقعيتها، ولكن الشعر لا يكف عن رفعها عن الأرض: «كانت تمطر ريشاً/ عندما رقصت في آخر مرة/ لأنك تحولت، من فرط الغبطة، إلى حمامة، وطرت». لعبة الشاعر موجودة في الكتابة على الحافة، حيث بإمكان أي شروء خاطف أن يدحرج القصيدة إلى وادي العادية والابتدال. يستسلم فنجان لسهولة المعجم وعمومية الموضوع، ولكن المخيلة تسعفه دوماً بصور تلمع وسط سطور متتالية، أو استعارة بارعة تعزز شعرية مقطع كامل. إنها قصائد في الحب، ولكن الحب لا يكتب بادعاءات العاطفة وحدها، ولا يُوقع صاحبه في الرخاوة الوجدانية. ربما يكون هذا الشعر مكتوباً فعلاً في حضرة امرأة بعينها، ولكن صاحبه لا ينسى مهمته كشاعر عليه أن يُقنع القارئ بما يكتبه. هكذا، يصبح الحب - مثل أي موضوع آخر - ذريعة لكتابة عالية الجودة. أحياناً يغرق الشعر في نشيد الإنشاد: «أيتها المنتخبة من بين الصبايا كي تصير أمّاً/ أيتها المختارة من بين الأمهات كي تعود صبية». وأحياناً، يصبح الشعر نفسه فكرة في النص: «كان أبوك ناقداً قديماً كالظلام... فيما كنتُ لقيطاً كقصيدة نثر».

في المقابل، لا تغفل القارئ عن البطانة الداخلية الثرية لما يقرأه. هناك أطروحة حضارية وفلسفية تتحرك في أحشاء القصائد. صحيح أن هناك صعوبة في اجترار صور صافية من جسم القصيدة المكتوبة بنفس حكاكي، وعلى سطور كاملة، إلا أن الديوان «صفعة قوية لمنشدي الحروب»، كما يقول الشاعر نفسه في رسالته إلى صديقه الناشر. هكذا، نجد في قصيدة «أخاف من مراتي أن تكسر جمالك»، ترجمة أخاذة لما فعلته الحروب بالإنسان عموماً، وبالإنسان العراقي خصوصاً: «البسوني خوذة لئلا تحلق هواجسي بالقرب من أشواقك... أما الثكنات فقد لقتني أنك كائن ناقص العقل». ولهذه، «أخاف أن أنام على سريرك، ومن مسام جسدي تشع أبواق الخنكات/... لا أريد أن تحبيني وأنا محشوّ بالقتلى/ أخاف أن تحملي مني وحشاً».

تُقدّمها حضورها الفردي لمصلحة أنثوية شاملة تلمي على الشاعر أن يكون صوت نفسه وصوت ذكورة شاملة أيضاً. هكذا، يصبح السخاء اللغوي (والعاطفي) جزءاً أساسياً في عملية الكتابة، ولا يجد الشاعر حرجاً من الإفراط في الوصف والإضافة ومطاردة المعاني إلى نهاياتها، حيث المرأة ممتدحة هكذا: «أنت من أحببت قبل أن يعثر الإنسان على قلبه/ أنت من غنيتك وحيداً بحنجرة الجميع/ أنت عدة شموع في شعاع واحد/ أنت سفينة في عدة طوفانات/ أنت حزمة مفاتيح في معرفة واحدة/ أنت سهم الرحمة الذي يذبح القلب، ويرسمه ملاكاً في راية الشيطان/ أنت لا نهائية الغفران في الخطيئة/ أنت فيضاً من الشك في قناعة أكيدة/ أنت انشطار المعنى، ومفترق طرق أمام مسافر واحد». أحياناً نذكرنا صورة مثل «كان قلبي يرن، لأن

كان قلبي يرن،
لأن هاتفك مغلق



يخوض عبد العظيم فنجان مغامرة خطيرة حين يخصص ديوانه «الحب حسب التقويم البغدادي» (دار الجمل) للكتابة في موضوع واحد هو الحب، فضلاً عن أن الموضوع نفسه مكرور ومحكوم بمخاطرات من صنع معجمه هو، إذ نكاد لا نجد موضوعاً أسىء إليه في الشعر مثلما أسىء إلى الحب الذي صار مطية سهلة للمبتدئين، وفخاً يقع فيه الكثير من المكترسين أيضاً. لا نستطيع تجاهل فكرة كهذه، لكنها تصبح قابلة للنقاش وإعادة النظر بمجرد أن نبدأ بالقراءة، وننتبه إلى الزاوية الخاصة التي يطل منها الشاعر على موضوعه، والعناية الفائقة التي يبذلها في تأليف الصور والاستعارات.

لا يبتعد الشاعر العراقي عن مزاج باكورته «أفكر مثل شجرة» (2009) التي تاخر في إصدارها وإدخالها بها. لا تزال «الروحية الحديثة» تتجول في أغلب قصائد ديوانه الجديد، لكن هذه الروحية تتخلّى عن بنائها الخيطي وانضباطها الفردي، وتفتح على حالة شعرية أوسع تسمح بالاسترسال والسرد والغناء. الاتساع الشعري يسمح للمرأة المخاطبة باكتساب صفات مماثلة

والمطامع والمصالح والمخاوف». سبق لرابح ظريف الذي عرفه الجمهور في برنامج «أمير الشعراء» الذي خرج منه بلقب «شاعر الرسالة»، أن نشر على صفحته قصيدة لاذعة سخر فيها من وزيرة الثقافة خليدة تومي، واستنكر بقاءها في منصبها للعام العاشر بعد التعديل الحكومي الأخير. وجاء فيها: «هاتي يدك أنا أحبك كلما/ قالوا خليدة قلت أح يا أحي/ نظارتان من الزمان المالح/ وقلادة من عصر اشلح واشلحي/ الشعر اشقرّ والعيون جهنم/ والكف من كفي العريضة تستحي/ أخلد إن لم ترقصي في حانة/ فاليوم في عرس الحكومة فأشطحي» (اشطحي: ارقصي).

بالنسبة إلى الناقد الأدبي لونيس بن علي، فإن من المهم قراءة هذه التجارب في سياقاتها الراهنة «المتصّفة باحثان سياسي وتدهور اجتماعي وتفكك ثقافي، والمعقّدة بأحلام الحرية والتغيير وبنسائم الربيع العربي. كلها عوامل تبرّر هذه النصوص وأسلوبها النقدي المباشر الذي يمس بأسس النظام في الجزائر».

ورغم اعتراف بن علي بأن هذه القصائد تحمل حس الشجاعة، إلا أنه يرى أنها «سقطت في المباشرة، وكان لها أن ترتفع إلى مستوى اللغة المجازية، ليس حرصاً على حياة الشعراء، بل على بقاء القصيدة»، معقّباً: «رهبان الشعر السياسي صعب. هو شعر المواجهة، والمواجهة فن يتأسس على المراوغة والخداع، والشعر يمنح الشاعر كل أدوات المعركة، بينما القصيدة المباشرة لا تختلف عن أي منشور سياسي».

ويشدّد بن علي على أهمية الشعر السياسي الذي يقارب بشجاعة الواقع المنحل والمالات الضبابية لمستقبل البلد. كان ذلك ما فعله الشاعر عادل صياد قبل سنوات في قصيدته الطويلة «أنا لست بخير» التي كانت بمثابة صرخة يائسة: «عدد القتلى لا يدعو للحنن/ عدد المفقودين.. تقريباً تقريباً/ عدد الناجين/ عدد المنهارة أسقفهم/ يدعو للارتياح/ سيؤدون واجبه المانتخابي رغم رداءة الطقس/ يقولون نعم/ للتمديد/ نعم للتجديد». كانت تلك آخر قصيدة كتبها الشاعر المعارض الذي قرّر إنهاء تجربته الممتدة على قرابة ثلاثة عقود، حين أعلن موت الشعر ودفن دواوينه في جنازة حقيقية حضرها أصدقاؤه.

ملاحش

10 كانون الثاني (يناير). للإستعلام: 03/292959

بعدهما قدّم قاسم إسطنبولي عمله المونودرامي «الجدار» الذي يحكي عن الحواجز الفاصلة بين الشعوب على مسرح «بلارا دي لا ميرسيد» الأثري في إسبانيا، ها هو ينطلق إلى تشيلي، وتحديدًا إلى «المهرجان الدولي للمسرح» في تشيلي Encuentro Internacional de Teatro para chillan 2013. هناك سيقدّم الممثل والمخرج اللبناني الفلسطيني «قوم بابا» التي تنقل القضية الفلسطينية. علماً أنها تعتبر أول مسرحية عربية تشارك في المهرجان الذي ينطلق في العاشر من الشهر الحالي ويستمر حتى 16 منه في شبليان.

الحكيم». عند السادسة من مساء الأربعاء 9 كانون الثاني (يناير) في مقرّها في بئر حسن (ضاحية بيروت الجنوبية). للإستعلام: 01/821060

منذ صغره تأثر صاحب شخصيّة «إسماعين» بحياة الفلاحين، وتعرّف إلى عاداتهم. هكذا تعلّم العزف على الناي والربابة. كما تعلّم من والدته الحياء وأبيات البكاء على الموتى. في مسرحيته الجديدة «المعاز» التي أخرجتها رنا كسرواني، يلعب منير كسرواني دور البطولة، ويقدم العرض بالاشتراك مع «فرقة شادي أيوب للفنون الشعبية»، وكل من عبّو بيطار، رشا عكوش، غسان الحداد، رنيم ريمان، شانيل يمين على خشبة مسرح «قصر الأونيسكو» في الثامنة من مساء الخميس

العربي وي طرح تساؤلات عدة تتعلّق بدور المرأة في ظل هذه المتغيّرات، إضافة إلى تعاطي شباب اليوم مع قضية المساواة الجنسانية وهم يعيشون في مجتمعات تسودها القيم الذكورية. أذا، أربعة ممثلون هم (باتريسيا نّمور، زينب عشاف، باسل ماضي، إيلي يوسف) سيؤدون المسرحية التي تنطلق في الثامنة والنصف من مساء اليوم على خشبة «مسرح مونو». للإستعلام: 01/421875

تحت عنوان «مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي على ضوء المتغيّرات»، يشارك الأمين العام للفريق العربي للحوار الإسلامي - المسيحي القس والأكاديمي رياض جرجور في لقاء حوارى دعت إليه «مؤسسة الإمام

في «بيت الدمية» للمسرحي الترويجي هنريك إيسن، تتور نورا بطلة المسرحية على زوجها الذي يحركها كالدمية منفضة على حياتها الزوجية التي تحول دون ممارستها حريتها الفردية. المسرحية التي شكّلت شرارة لتحرر المرأة في العالم عام 1879، إقتبستها عابدة صبرا (الصورة) وأخرجتها بعنوان Delete ضمن تحية تخصصها بيروت إلى المسرحي المعروف ويتخللها أيضاً عرض «اليسانة» لفرقة «زقاق». أما De-lete فيحاكي برمزيته الحرك القائم في عالمنا



يستعيد «مركز التراث اللبناني» في «الجامعة اللبنانية الأميركية» بعض الحلقات التي شكّلت «نهضة الحركة الأدبية في لبنان». تحت هذا العنوان، يقيم لقاء حول «حلقة الثريا» بمشاركة إدمون رزق، وحول «عصبة العشرة» و«حلقة المكشوف» حيث تستعيد الأكاديمية منى تقي الدين أميوني زكريات والدها خليل تقي الدين، ويتناول الباحث أمين الياس «رمان العافية» في زمن «الندوة اللبنانية».

اللقاء الذي يفتحه الشاعر هنري زغيب، يقام عند الساعة من مساء 14 كانون الثاني (يناير) في «القاعة 904» (كلية الإدارة والأعمال، مبنى الجامعة الجديد، قريطم، بيروت). للإستعلام: 01/786464